مكتبة الشيخ زكريا

سلسلة
كلمات داعية
لقلوب واعية
(4)

خمس
مـوبقــات
في

علـــم الاقتصـــــاد

زكريا على سلمان
آل قضاة

رقم الإيداع

﴿بسم الله الرَّحمن الرَّحيم﴾

﴿يمحق الله الرِّبا ويربي الصَّدقات والله لا يحبُّ

كُلَّ كفَّارٍ أَثيمٍ۞إِنَّ الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات وأَقاموا الصَّلاة وآتوا الزَّكاة لهم

أَجرهم عند ربِّهم ولا خوف عليهم

ولا هم يحزنون﴾(البقرة:277)

﴿وآت ذا القربى حقَّه والمسكين وابن السَّبيل

ولا تبذِّر تبذيراً ۞ إِنَّ المبذِّرين كانوا إِخوان الشَّياطين

وكان الشَّيطان لربِّه كفوراً ۞ وإِمَّا تعرضنَّ عنهم ابتغاء رحمة من ربِّك ترجوها

فقل لهم قولاً ميسوراً ۞ولا تجعل يدك مغلولة إِلى عنقك

ولا تبسطها كلَّ البسط فتقعد ملوماً

محسوراً﴾ (الاسراء:29)

﴿ فقلت استغفروا ربَّكم إِنَّه كان غفَّاراً ۞

يرسل السَّماء عليكم مدراراً ۞ ويمددكم بأَموال وبنين

ويجعل لكم جنَّات ويجعل لكم أَنهاراً ﴾

(نوح:12)

صدق الله العظيم

الإهـــــداء

إلى أبينا آدم، وأمنا حواء،
وما توالد منهما من
الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين...
ثم إلى روح أمي وروح أبي اللذين ربياني على
حب تعليم الناس الخير، والنصيحة لله وكتابه
وأئمة المسلمـــــين و عامتهم...
وإلى كل إنسان يحب أن يثري حياته
في معرفة الحق والإرشاد إليه.....
أهدي كتابي هذا....

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وأحسن الله ختامي وختامكم، وفرج عنا وعنكم أجمعين وبعد:

فقد كنت في صباي أكره الربا من الناحية الشرعية، وخاصة في ذكرى الإسراء والمعراج لما أسمعه من الخطباء في هذه الذكرى عن مشاهدات النبيﷺ في رحلته لما يتعرض له المرابي من العذاب، ولما كبرت صرت أستشيط غضباً من المرابين وأترحم لحال المجبرين على أخذ الربا، هنا وهناك.

وعندما استكملت في ذهني النظرة الإسلامية الشمولية للمواضيع الاقتصادية عرفت أن الربا كالسرطان لا يرحم الأفراد ولا المجتمعات، ولا المؤسسات ومن ورائها الحكومات، وعرفت أن الربا والاحتكار هما قلب النظام الاقتصادي الرأسمالي.

وتأملت في الشيوعية فلم أجد أنها حلت مشكلة توزيع الأموال التي زعمت بأنها جاءت لتخلص البشرية من مساوئ النظام الرأسمالي.

وعلمت أيضاً أن السعادة الاقتصادية لا يمكن أن توجد إلا في ظل تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، لأن هذه الشريعة هي نظام إلهي راعى خصوصية هذا الإنسان، وهيأ له كل ما ينفعه في الدنيا والآخرة، إذ أن الله عز وجل هو الذي خلق الإنسان وهو الأقدر على وضع التشريعات التي تناسبه، كما هو الحال في التشريعات الأخلاقية والاجتماعية والتربوية والسياسية والعسكرية وكذلك الاقتصادية وغيرها.

كما أني تفكرت في أمر توزيع الميراث في الشريعة الإسلامية فرأيت أن عدم توزيع الميراث في الدول الاشتراكية قد سارع إلى حد بعيد في زوالها من بين أنظمة العالم الحديث، فازددت بذلك يقيناً على يقين بأن الإسلام إنما جاء لسعادة البشرية بأكملها.

هذا وستضل الأيام تكشف حيناً بعد حين عجائب هذا الدين الحنيف الذي أكمله الله تعالى وارتضاه للبشرية منهاجاً وسبيلاً.

وقد حاولت جهدي أن اجعل أسلوب الكتابة سهلاً وميسوراً وواضحاً؛ كي لا يملّ الناس من أسلوب الأرقام الجامد الذي يتبعه الاقتصاديون ولا يفهمه إلا المتخصصون بهذا العلم، وأوردت أمثلة واقعية أقرب إلى الخيال، وأخرى خيالية أقرب إلى الواقع حتى يفهم القارئ الكريم الموضوع بجلاء.

وإنني إذ أضع بين يدي القارئ الكريم كتابي الرابع هذا، لأرجو الله أن ينفع الله به قارئه، كما وأرجو من إخواني أن يتفقدوني بدعوة صالحة، أرجو نفعها في الدنيا والآخرة، وأن ينبهوني إلى أي أمر غفلت عنه، أو جانبني الصواب في طرحه.

اللهم اجعلنا هداة مهديين، ولطريق الحق متبعين، حتى ننال ثواب العلم والعمل، والدعوة والدعاء، إنه على ما يشاء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.والحمد لله رب العالمين

زكريا علي سلمان

آل قضاة

المبحث الأول

الربا سرطان اقتصادي

وجهة نظر مختصرة لبحث اقتصادي بحت

كثيراً ما يتحدث الخطباء والوعاظ والمرشدون عن مخاطر التعامل بالربا من الناحية الشرعية، دون التطرق إلى خطر الربا من الناحية الاقتصادية، ناسين أو متناسين أن الشيطان يزين للناس الشر حتى يوقعهم فيه.

وبما أن من واجب الواعظ أن يوضح للناس أن الإسلام فيه خيري الدنيا والآخرة، وفيه حل لكل مشاكلنا، فأحببت أن أبين الأضرار المادية للربا على الآخذ والمعطي معاً، حتى يزداد المؤمن إيماناً بدينه

﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾31 المدثر

وسأعرض بعض مضار الربا الاقتصادية على الفرد والمجتمع، مع التنبيه على أن بعض الأسباب، لا ينفرد بها الربا، وإنما يساهم فيها إلى جانب بعض الأسباب الأخرى، وأحببت أن أنوه إلى ذلك حتى أكون موضوعياً في طرح القضية، وحتى لا يقول قائل: إن الربا ليس هو السبب الوحيد في هذه المشكلة أو تلك. ولكن لأن الربا يساهم إلى حد كبير في هذه المضار الاقتصادية، وقد يكون سبب رئيسي فيها، ذكرتها إلى جانب المضار الكثيرة الأخرى للربا.

أولاً:

الربا سبب من أسباب الغلاء،وهذا ينتج من عدة عوامل:

1- ارتفاع كلفة الإنتاج المالية:

فلو أن شخصاً ما أراد الاستثمار في السوق الأردني مثلا، خاصة في ظل تشجيع الاستثمار، ومحاولة جذب رؤوس الأموال، فقام بدراسة السوق المحلي، فوجده خالياً من مصنع تجفيف الحليب، مع أن المواد الخام متوفرة بكثرة، ووجد أن المشروع مربح تماماً، وجدواه الاقتصادية جيدة، واستكمل جميع الأمور المتعلقة بإنشاء المصنع، ولم يبق عليه سوى التمويل.

والتمويل هنا يمكن الحصول عليه بثلاثة طرق:

الأولى : أن يقوم بتمويل المشروع من أمواله الخاصة، إن كان قادراً على ذلك، وفي هذه الحالة ليس هناك مشكلة.

الثانية: أن يقوم بتأسيس شركة مساهمة ويجمع الأموال اللازمة بطريقة بيع الأسهم، وبذلك يمكن الحصول على التمويل اللازم، ولا مشكلة في هذا أيضاً.

الثالثة: أن يتقدم بالحصول على قرض من البنك بفائدة سنوية معينة، وهذا سيزيد بالطبع من تكاليف المشروع التأسيسية، وهي جزء من النفقات.

وعلى فرض أن شخصين قاما بتأسيس مصنعين متشابهين في بلد واحد، الأول من ماله الخاص، أو بطريقة المساهمة، والثاني بطريقة الاقتراض من البنوك الربوية، وكانت تكلفة كيلو الحليب المجفف دينارا واحدا، وهنا يأتي السؤال:

إذا كان بإمكان المصنع الأول (الحلال) أن يبيع كيلو الحليب المجفف بدينار + قرش واحد مربح، فهل يستطيع المصنع الربوي أن يفعل ذلك ؟؟؟ والجواب كلا ثم كلا، ولماذا ؟

والجواب :لأن مصنع الربا بحاجة إلى أن يدفع فائدة للبنك الربوي الذي مول المشروع، ولنفترض أنه عشرة قروش على كل كيس؛ فتصبح المعادلة كالتالي:

المشروع	سعر التكلفة	ربا	أقل ربح	اقل سعر للبيع بلا خسارة
حلال	100	لا يوجد	1	101
ربوي	100	10	1	111

إذا فالربا سبب من أسباب الغلاء، حتى ولو كان الربا قرشا واحدا، والذي سيدفع هذا القرش إما المواطن، وإما يفترض افتراضا أن يلغى مشروع الحرام لأنه لم يستطع المنافسة من ناحية السعر.

ولكن هل الغلاء سيتوقف عند هذا الحد ؟ اللهم لا.

فالمصنع لا يبيع للمستهلك مباشرة وإنما يبيع لأكابر التجار، ثم هؤلاء بدورهم يبيعون لتجار الجملة، ثم هؤلاء يوزعون على تجار المفرق، ثم يأتي المستهلكون للشراء من تاجر المفرق. وكل تاجر من هؤلاء يفترض أن يبيع بنسبة ربح معينة.

فلو افترضنا أن التاجر الرئيسي يبيع بربح مقداره 10%،وتاجر الجلمة15% وتاجر المفرق20%فيكون الجدول كالتالي:

المشروع	للتجار الرئيسيون	لتاجر الجملة 10%	لتاجر المفرّق 15%	للمستهلك 20%
حلال	101	111.1	127.7	153.3
ربا	111	122.1	140.4	168.4

فزيادة كيلو الحليب على المستهلك=168.4-153.3=15 أي 15 قرشا على كل كيلو حليب، فالربا البسيط يكون له أضعافا مضاعفة عند التعامل، ولا يزال لدينا المزيد.

فإذا كان المستهلك يدفع عشر قروش من كل مائة للحليب ومثلها للسكر وكذلك للسمن وأخرى للرز لأنها كلها قامت على الربا فإن الموظف العادي الذي معاشه 100 دينار لا يستطيع أن يشتري إلا ما قيمته الحقيقية تسعون دينارا، وقل هذا في كل شيء.

إذا فالربا سبب من أسباب الغلاء، هذا عدا عما لو كان التاجر الرئيسي يعمل أيضا بالربا،وكذلك تاجر الجملة، عدا عن تاجر المفرق؟([1])

2- سرعة تهيئة المشروع للإنتاج، مما يقلل الجودة، ويرفع الأسعار.

إن المقترض من البنوك الربوية، سيضع نصب عينيه الأقساط الشهرية المستحقة، التي يطالبه بها البنك بغض النظر عن جاهزية المصنع للإنتاج، فيحاول جاهداً الانتهاء من المشروع بأسرع وقت ممكن، فيضطر أحياناً لقبول بعض المواد المخالفة للمواصفات والمقاييس، بسبب ارتفاع سعر المواد الأصلية، أو تأخر وصولها، ومعروف فنياً أن:(السرعة والإتقان لا يتفقان) وسيخضع صاحب المشروع الربوي للضغوط من جانبين:

أولا:ضغط الأقساط الشهرية.

ثانيا:ضغط تسديد نفقات المواد الأولية. فيقع بين نار السرعة، ونار الإتقان؛ إضافة إلى نار الآخرة التي تنتظره.

---

(1)إن هذا مثال مبسط للعملية الإنتاجية وإلا فان الأمور على الواقع تسير بأضخم من ذلك، فعند إنتاج أول كمية من الحليب، ولنفرض أنها في الشهر الأول مائة طن من الحليب المجفف، وكانت تكلفة الطن الواحد ألف دينار، ونسبة الربح 15% فيكون سعر بيع الطن الواحد(115) دينار، فهل يستطيع صاحب المصنع الثاني أن يبيع طن الحليب بالسعر نفسه إنه إن فعل ذلك فسيغلق المصنع بعد ستة أشهر على الأكثر؛ لأن الأول سيقبض (115) ألف ويدورها في حساب المصنع، ويشتري مواد خام جديدة، وسينتج كمية أكبر تعادل هذا المبلغ أي حوالي(115) طن حليب مجفف، في حين أن الأول يحتاج إلى تسديد المبلغ المتحصل من سعر الحليب كاملاً وهو(115) ألف دينار إضافة إلى (135) ألف دينار أخرى لتسديد القسط الشهري للقرض الأول، وما يزيد عن ألفي دينار أخرى لتسديد القسط الشهري عن القرض الثاني، فمن أين سيأتي بالباقي؟ وبالتالي سيضطر إلى رفع سعر الحليب إلى(150) دينار للطن الواحد مبدئياً، ثم يضطر إلى الاقتراض مرة أخرى وهكذا، فإذا لم يكن له منافس، فإنه سيبيع الطن بـ(250) دينار حتى يستطيع أن يحقق ربحاً معقولاً ويستمر لفترة طويلة في السوق، وكل هذا سينعكس على المواطن الذي يستهلك هذه المادة، وعلى ذلك فقس باقي الصناعات، والمنتجات الأخرى.
أضف أنه إذا لم يكن له منافس، وكان يطمع في أن يسدد رأس المال فكيف سيصبح سعر كيلو الحليب؟!

ولا تظنن أن هذا غير موجود، فإن الصناعات التي فوجئت بقيام صناعات منافسة لها، ولم تستطع ترتيب الأمور معها، فإنها قد خفضت أسعارها إلى ما يقارب النصف مما يدل على أن الجشع عند البعض ليس له حدود ثم أ رأيت كيف اكتفى صاحب المال الحلال بنسبة 15% وحقق ربحاً معقولاً، ووفر السلعة بسعر مناسب أيضاً، في حين أن المرابي لم يكتف بأضعاف هذه النسبة، ولم يحقق ربحاً معقولاً له، وكان ربحه فاحشاً على المستهلك.

أما صاحب المشروع الآخر فيقوم بتجهيز مشروعه بإتقان وهدوء، ويختار المواد بعناية وتدقيق؛ فلا يقبل إلا العمال المهرة، ولا يدخل في صناعته إلا المواد العالية الجودة، والمطابقة للمواصفات والمقاييس المعتمدة، فلا يعرض نفسه للمساءلة القانونية من الجهات المسؤولة عن مراقبة الجودة، ولا يفقد ثقة المستهلكين في منتجاته.

وهذا أدعى لأن يستمر في صناعته مدة أطول، ويطورها، ويتفرع عنها صناعات أخرى تفيد الصناعة الأولى وتستفيد منها، كما انه يستطيع أن يضع السعر المناسب لسلعته دونما ضغوط خارجية.

3. المنافسة العشوائية:

في مجتمع سيطر عليه الربا في جميع جوانبه، تجد الحسد والبغضاء، والغلاء ينتشر ويتفشى في هذا المجتمع حتى يقضي عليه في النهاية، مخلفاً له ركوداً اقتصادياً عاماً، ثم ديوناً وأقساطاً متأخرة، وفوائد مركبة ومتراكمة، ثم محاكم وسجون، ثم إفلاس ثم في الآخرة عذاب عظيم.

فالمستأجر يعاني من ضغوط المالك المتكررة لرفع الأجرة والتهديد بالإخلاء، فينظر من حوله وإذا بالكل يتسابق في التطاول بالبنيان، فيأتيه الشيطان بصورة ناصح أمين، ومنقذ ومخلص له من معاناته، فيقول له:

أنت تملك قطعة أرض في منطقة كذا، فلماذا لا تقوم برهنها للبنك وأخذ قرض كبير، فتبني عمارة كبيرة من عشر شقق، فتسكن إحداها وتؤجر الباقي؟ ويزين له الأمر قائلاً:

تستطيع أن تأخذ قرضاً من البنك بقيمة مائة ألف دينار بضمان الأرض، وهذا المبلغ يكفي لبناء العمارة ذات العشر شقق، فتؤجر الشقة الواحدة بمائة دينار شهرياً، وهذا يعني دخلاً مقداره(12.000) دينار سنوياً، في حين أن الفائدة المترتبة على القرض لا تزيد عن ستة آلاف دينار سنوياً؛ لأنهم يأخذون فائدة ميسرة على قروض الإسكان6%، وبذلك تكون قد ربحت ستة آلاف دينار شهرياً دون أن تبذل شيئاً.

فتتنعم في هذه الحياة الدنيا، وتطلق البؤس والشقاء إلى الأبد، ودعك من أقوال الخطباء والوعاظ واتبعني، فأنا لك من الناصحين:﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنْ النَّاصِحِينَ﴾[21الأعراف].

فيذهب هذا الشخص ليعمل بنصيحة الشيطان المبطنة بالغدر، والمحشوة بالسم، فيرهن أرضه، ويبدأ بالبناء، وليس هو الوحيد الذي استجاب لهذه النصيحة الخبيثة، فأمثاله كثر، ونتيجة لزيادة الطلب على مواد البناء تبدأ أسعارها بالارتفاع، ويبدأ يتساءل:

لماذا هذا الارتفاع الجنوني في الأسعار؟ وما درى أن الشيطان الذي سول له، سول لألوف كثيرة مثله، وكلهم استجابوا له وعملوا مثله([2])

فتزداد التكلفة عليه وبدلاً من أن يبني عشر شقق اكتفى بثمانية، المهم أنه أصبح من الملاك، ووضع لافتة كبيرة على العمارة تشعر بأن شققها جاهزة للسكن، وبإيجار شهري مقداره(90) دينار فقط.

قام أحد المستأجرين في العمارة المقابلة بأعلام صاحب البيت(القديم) بأنه سيرحل من الدار، ليسكن في الشقة المجاورة الجديدة، وطلب من صاحب الدار أن يسامحه على التأخير؛ ذلك لأن صاحب الدار كان قد طالبه عدة مرات بالرحيل.

صاحب المنزل أبدى تأسفه وانزعاجه على رحيله، وطلب إليه بكل إصرار وترحُّم وتودد أن يبقى عندهم قائلا: يا جارنا، لماذا تتركنا ؟ هل رأيت منا شيئا يؤذيك؟! وأقسم له أنه يحبه، وتدليلا على ذلك فإنه مستعد لأن يخفض الأجرة إلى"80"دينارا فقط.

وتعجب المستأجر لهذا التغيير المفاجئ بالأسلوب والتعامل واللهجة والمحبة، وما عرف أن البنايات صارت أكثر من المستأجرين.

هنا اضطر صاحب العمارة الجديدة إلى أن يكتب على عمارته"فرصة لا تعوض شقة ديلوكس للإيجار بـ70 دينارا فقط.

قام المستأجر بتذكر الأيام العصيبة التي كان صاحب العمارة القديمة يلاحقه فيها طالبا برفع الأجرة أو الرحيل، فأخبر صاحب الدار مرة أخرى بأنه عازم على الرحيل. ولكن صاحب الدار القديمة قال:

لا تنسى يا صاحبي ويا حبيب قلبي ويا رفيق عمري إن في الرحيل تعب وغلبة وتخريب للأثاث عدا ما فيه من فراقكم ! وأنا مستعد لتنزيل الأجرة إلى 60 دينارا فقط.

([2]) جاء ملك من ملوك الزمان وحاول أن يختبر صدق شعبه وإخلاصهم، فقال لهم: يا شعبي الكريم، إنكم أهل مواشي كثيرة، وغدا سيزورنا ضيف عزيز، فأرجو من شعبي الكريم أن يأتي كل واحد منهم بإبريق من الحليب ويضعه في هذا البئر، فإذا جاء الزائر أريناه بئر الحليب، فبذلك سيسر أيما سرور. ولابد أنه سيبدأ باستيراد الحليب من عندنا، فيعم الخير علينا جميعا، علما بأن إبريق حليب لن يؤثر عليكم كثيرا، وسيكون وضع الإبريق بعد المغرب أي بعد الحلب. قال أحد المواطنين "الأذكياء" لماذا لا أضع بدل الحليب ماء ! ولن يعرف أحد أنه ماء، كما أن الإبريق لن يؤثر في البئر، بينما أقوم بشرب الحليب مع أولادي، بدل أن أضعه في البئر. وفي الصباح كانت البئر كلها مملوءة تماما، ولكن من الماء بدل الحليب لأن الشعب كان كله من "الأذكياء"

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل يستطيع أصحاب العمارات الجديدة أن يؤجروها بخمسين دينار للشقة الواحدة ؟ لا؛ لأن الفائدة المترتبة على القرض أكثر من هذا المبلغ، إضافة إلى القسط الشهري عن القرض الأصلي الذي سيبقى عليه إلى الأبد.

وقد يستغرب أحد القراء هذا الأمر، ويعدّه ضرباً من الخيال، ولكن هذا ما حصل فعلاً هنا في بلدنا الحبيب، فقد أنشئ عشرات الآلاف من العمارات في السبعينات بواسطة القروض الربوية، حتى أن أمانة عمان أعلنت عن وجود (36) ألف شقة فارغة في حدود الأمانة لا يسكنها أحد، ناهيك عن المدن والقرى الأخرى.

ثانياً:

الربا سبب من أسباب الركود الاقتصادي:

فعندما أدرك الناس بأن قطاع البناء لم يحقق لأصحابه الدخل الوفير –المزعوم– توقف الآخرون عن ولوج هذا الباب وصاروا يفكرون في أبواب أخرى، مما أثر على هذا القطاع وأصابه بالشلل في وقت من الأوقات.

كما أن الذين تورطوا في هذا الجانب اضطر قسم منهم إلى بيع عماراتهم وممتلكاتهم الأخرى، كي يسددوا التزاماتهم بإرادتهم، فيما بيعت ممتلكات بعضهم في المزاد العلني بأبخس الأثمان لعجزهم عن الوفاء بالتزاماتهم.

وهذا انعكس بالتالي على كل القطاعات الأخرى، وأضعف القوة الشرائية في السوق لباقي السلع نتيجة تسريح بعض العاملين،([3]) أو توقفهم عن العمل، مما خلّف ركوداً اقتصادياً، وفقراً وبطالة.

ومثلما امتلأت البطون في فترة ما، صارت تتلوى من الجوع[4]؛ لأن البلد الذي كان مقرراً له أن يبني مائة ألف عمارة في عشرين سنة، بناها في خمس سنوات بعشوائية، وتعب وإرهاق، ثم استراح بقية المدة المقررة عاطلاً عن العمل، وهذا ما نعاني منه اليوم.

([3]) فمثلا صاحب مصنع الأسمنت الذي كان يشغل 10 آلاف عامل سرح نصفهم وكذلك معامل الطوب والحجر و الرخام وتوقفت قلابات الرمل عن العمل، وكذلك مصانع الحديد والأدوات المنزلية؛ كل هؤلاء كانوا يشربون الشراب ويأكلون الحلوى والحلاوة، فتأثرت مصانع هذه الأشياء مما أدى إلى تسريح المزيد..وكل هؤلاء وأولئك لن يستطيعوا بناء بيوت كما كانوا يخططون مما يؤدي إلى زيادة ركود مصانع الإسمنت والحديد من جديد.

(4) يحكى أن فأراً رأى "قرعة كبيرة" وفيها ثقب صغير، وكان جائعاً وهزيلاً، فدخل من هذا الثقب الصغير، وبدأ يأكل ويتسلى، وفرح بهذه الفرصة الذهبية، وارتاح من مطاردة القط له، وسمن وكبر داخل القرعة، وهي تتصلب يوماً بعد يوم نتيجة لنفاد لبها، واشتداد الحرارة من حولها، ولما جاء زمن المغادرة، حاول الفأر أن يخرج من القرعة فلم يستطع لأن حجمه قد كبر، والثقب صار ضيقاً وقاسياً، وباءت كل محاولاته بالفشل، فلم يجد بداً من أن يمتنع عن الأكل حتى أصبح هزيلاً أكثر من وقت دخوله، حتى استطاع الخروج، وتعلم درساً لن ينساه أبداً. وصاحب العمارة سيبيع أرضه المرهونة، والعمارة، وباع السيارة لينفق على عياله بانتظار ما ستفعله به الأيام،هذا إن نجا من السجن. فهل لنا فيه عبرة؟!

ثالثاً:

الربا سبب من أسباب التضخم المالي.

إن المجتمع الذي تعتمد غالبية مشاريعه على القروض الربوية، فإن الفائدة المترتبة على القروض سوف تنعكس بشكل مباشر على السلع الاستهلاكية، فمثلاً نجد أن جميع المواد الغذائية المصنعة محلياً، أو المستوردة سوف تظهر عليها زيادة معينة بسبب الربا، وكذلك الألبسة، وكذلك الأحذية، وكذلك أجرة المواصلات... الخ، وهذا يضعف القوة الشرائية للعملة المتداولة، فالموظف الذي يتقاضى راتباً شهرياً مقداره مائة دينار، فإنه لا يستطيع أن يشتري بها إلا ما قيمته الحقيقية: تسعون ديناراً فقط، وهذا يعدُّ نوعاً من أنواع التضخم النقدي.

وإذا كانت الدولة قد غرقت بالمشاريع الممولة بواسطة القروض الربوية، فإن أعباء الدولة ستزداد يوماً بعد يوم، خاصة وأن القروض الحكومية تكون طويلة الأجل، فالمليون دينار بفائدة6% لمدة عشرين عاماً ، يعني: مضاعفة القرض مرة وربع، إذا تم تسديده في الوقت المحدد، وإذا ما تعثر المشروع فإن المبلغ مضافاً إليه الفوائد تعاد جدولته على أنه قرض جديد بفائدة جديدة ومدة جديدة.

وهكذا تتكاثر الديون يوماً بعد يوم، مما يتيح للدول الدائنة التدخل في شؤون الدولة المدينة، وربما نهب ثرواتها، أو شراء أصولها في عقر دارها مقابل الفوائد فقط. فتلجأ الدولة إلى طباعة أوراق نقدية دون تغطيتها بالذهب أو بالعملات الصعبة [5]وفي ظل هذه الظروف، ستنخفض قيمة النقد، وبالتالي ترتفع قيمة كل شيء، وتنخفض القوة الشرائية للنقد، وتصور أخي القارئ المشاكل التي ستظهر بعد ذلك.

---

(5) بينما كانت العائلة الفقيرة تستعد لتناول طعام العشاء، والذي كان شوربة عدس، وإذا بالباب يطرق، فذهب الرجل ليفتح الباب، وإذا بشقيقه وزوجته وأولاده، فرحب بهم، وذهب إلى زوجته في المطبخ يستشيرها في الأمر الطارئ، فالنقود قليلة، والسوق بعيدة، والوقت متأخر، فاتفقا على أن يزيدوا الطعام ماءً، ويستقرضوا بعض الخبز من عند الجيران، وقدم لعائلته وللضيوف المرق المخفف، مع الاعتذار لهم بضيق الوقت وغيره، وهكذا تفعل الحكومات عندما تبتلى بالديون(وخاصة الربوية) فتقدم للمواطن سلع قليلة الجودة والأمان، وتسخر وسائل الدعاية والإعلان لإقناع الشعب بأن هذه الصناعة الجديدة أوفر أو أحسن أو أنعم أو أطيب، أو يستعملها فلان، أو أن فيها جوائز عديدة، أو أنها بالتقسيط وبدون دفعة أولى، وما إلى ذلك من المرغبات، ومعلوم أن الصناعات الخفيفة، أو السريعة التكسر هي نوع من أنواع الغش. كما أن بعض المصانع تقوم بإنتاج بعض الصناعات المقلدة للصناعات الأصلية، ضاربة بعرض الحائط حقوق الاختراع، مستغلة عدة عوامل، كاستخدام باعة متجولين، أو أصدقاء يعملون بلا رقابة...الخ.

رابعا

الربا سبب من أسباب ظهور الصناعات الرديئة، والمقلدة.

عندما يرى القطاع الصناعي بأن قدرة الشعوب الشرائية أخذت بالتناقص يوماً بعد يوم، تلجأ إلى صناعات خفيفة، تكون رخيصة التكلفة، وقليلة الجودة، ليتمكن المستهلك من الحصول عليها بسهولة، وتحقق ربحاً للمصنع أكبر من الربح الذي تحققه الصناعات الأصلية، إلا أنها لا تدوم طويلاً، وسرعان ما يلقى بها في حاويات القمامة بعد فترة قصيرة من استخدامها.

ومع علم المستهلك بهذه الحقائق، إلا أنها يلجأ إليها مضطراً بسبب عجزه وعدم مقدرته على اقتناء البضاعة الأصلية.

مثال:عندما ظهرت الساعات الرقمية الإلكترونية الأصلية عالية الجودة، كانت أسعارها مرتفعة جداً، وبعد سنوات قليلة ظهرت الساعات المقلدة لها، بأسعار رخيصة جداً، فظن الناس أن هذه الساعات بنفس الجودة، وكنت قد اشتريت ساعة أصلية، بقيت معي سنتين دون أن أبدل لها البطارية، أو أعرضها على الساعاتي، فأعطيتها لولدي واشتريت ساعة جديدة، أجمل من الأولى من حيث المظهر، وأرخص من حيث السعر.

وبعد أقل من شهر انتهت بطاريتها، فذهبت للساعاتي لتبديل البطارية، فقال لي:

إنها لا تساوي ثمن البطارية ونصحني بشراء ساعة جديدة، فاشتريت واحدة أخرى، وبعد فترة قصيرة، تعطلت بسبب دخول الماء إليها، وتبعت أختها، ثم اشتريت الثالثة وعاهدت نفسي بالمحافظة عليها، فاصطدمت بالحائط وأنا نائم فتكسرت،

ثم اشتريت الرابعة لصوتها الجميل، والمنبه الذي يشبه ذلك الموجود في الساعة الأصلية، وكان هذا سبباً في زيادة استهلاك الطاقة، وسرعة خرابها، واشتريت الساعة رقم عشرين،

ولا زلت أسأل ولدي عن الساعة كم هي الآن؟.

خامسا:

زيادة العبء على خزينة الدولة:

لو افترضنا أن المسألة لم تكن ساعة يد، وإنما إطاراً داخلياً لأحد عجلات باص يحمل خمسين راكباً، وكان هذا الإطار من صناعة رديئة مقلدة، فانفجر في الطريق وانحرف الباص عن مساره وانقلب بمن فيه، أصيب نصف الركاب بإصابات خفيفة، وخرج الباقون بالسلامة، سمع الأقارب والجيران بالحادث.

انطلق الجميع إلى المستشفى، فاطمأنوا على المصابين، ثم ذهبوا إلى بيوت الناجين حاملين الهدايا، ليهنئوهم بالسلامة، وتناولوا المشروبات الساخنة والباردة، ثم عادوا ومعهم الناجون في اليوم التالي إلى المستشفى ليعودوا المرضى، فكم أنفق الجميع من أجرة سيارات وأثمان هدايا، ومشروبات ضيافة، وكم أضاعوا من الوقت، وتعطيل للأولاد عن المدارس والجامعات...الخ.

العشرون راكباً المصابون، دخلوا إلى المستشفى، وتم الكشف عليهم، وأخذ الصور الشعاعية لهم جميعاً، للتأكد من عدم وجود الكسور، كما أجريت لهم الفحوصات المخبرية، وأعطوا العلاج اللازم، وغادر نصفهم المستشفى بالسلامة، فكم تكلفت خزينة الدولة من تكلفة مادية، واستهلاك لوقت الأطباء والممرضين الذي كان نزلاء المستشفى أحوج إليه، لولا هذه الحالة الطارئة؟ ناهيك عن المصاريف السابقة، والفزع الذي دب في قلوب الأهل والأصدقاء.

النصف الباقي احتاجوا إلى عمليات جراحية تكللت جميعها بالنجاح، ما عدا واحدة، لكنهم اضطروا للبقاء في المستشفى أياماً، وبالبيت أخرى حتى يتماثلوا للشفاء، فكم تكلفت الدولة من مصاريف نتيجة تعطيل هؤلاء عن أعمالهم؟ وكذلك أجرة العمليات، و العلاجات... إلى غير ذلك،.

أما العملية التي فشلت فقد توفي صاحبها، وقامت الدولة مشكورة بتحمل كافة النفقات، وقامت بدفع تعويض لأهله وأولاده، وصرفت لكل واحد منهم راتباً تقاعدياً، حتى بلغوا السن القانوني، ولزوجته حتى ماتت، إذ أنه كان موظفاً، فكم تكلفت خزينة الدولة جراء ذلك.

والسؤال الكبير:

من أين أتت الدولة بكل هذه الأموال؟ أليس من جيوب مواطنيها؟ وكل ذلك لماذا؟ بسبب إطار مغشوش، سعره أقل من سعر الإطار الأصلي بدينار أو دينارين، فماذا لو كان الجهاز المغشوش أكبر من ذلك؟

لقد بلغ الغش ببعض الشركات أن تصنع قطع غيار للمركبات الفضائية وكتبت عليها بأنها أصلية، بينما هي ليست كذلك، مما أدى إلى تعطيل المركبة وتأخيرها عن موعدها، ولحسن الحظ أنها لم تتعطل في الجو.

سادسا:

الربا سبب من أسباب تدني العملية التعليمية والتربوية.

فنظراً لارتفاع الأسعار، وتدني القوة الشرائية للعملة، سيبدأ المعلم يحسب ألف حساب لمستقبله، ومستقبل عياله، وكيف سيؤمن لهم متطلباتهم التي لا تنتهي بالراتب، فيفكر في أن يجد له مصدر

رزق آخر إلى جانب الراتب الذي تنقص قيمته الفعلية يوماً بعد يوم حتى أصبح عاجزاً عن تلبية احتياجاته واحتياجات عائلته.

وربما يستقر رأيه على أن يفتح دكاناً، ويصبح ينتظر بفارغ الصبر انتهاء حصصه الدراسية لينطلق مسرعاً إلى البقالة ليبيع فيها، وربما لا يذهب إلى البيت لتناول الغداء، ويكتفي برغيف ساندويتش كي لا يضيع الوقت،فيترك بيته وأولاده، وراحته الضرورية من أجل تحضير الدروس للطلاب، فيضطر لتحضيرها في الدكان، ويقوم بتصحيح الأوراق بالدكان أيضاً.

وبين الفينة والفينة يقطع عليه بعض الزبائن حبل أفكاره ليطلب قطعة صابون، أو علكة، وربما يأتي إليه بعض طلابه طالباً شراء سيجارة، فيبيعه، وبتكرار المقاطعة يكتفي بما حضر، أو بما صحح ليؤجل الباقي إلى الغد، وهكذا.

وفي اليوم التالي يدخل إلى غرفة الصف مرهقاً، فيعطي الدرس وذهنه في نواقص الدكان، وحساباتها، وقد يدخن الطالب الذي اشترى منه الدخان بالأمس فلا يستطيع منعه، لأنه أحد زبائنه ولا يريد أن يخسره.

وهكذا تبقى العملية التربوية تسير نحو الأسوأ حتى تصل إلى أقل مستوياتها، وعندئذ لا ينفع معها مؤتمرات التطوير التربوي، ولا المحاضرات و لا الندوات التي تهدف إلى تطوير العملية التربوية، ويخرج للمجتمع أجيال أقل علماً وفهماً ودراية وخبرة، وفوق ذلك تنقصهم القدوة؛ فأنى لمثل هذه الأجيال أن تسابق الأمم، وتتربى على التضحية والفداء؟

ومن الجدير بالذكر أن هذا الوضع لا ينسحب على جميع المعلمين، وإنما هي نماذج موجودة أردت أن أشير إليها لبيان خطورتها على العملية التربوية، وأنوه أيضاً بأن أغلب الذين يلجئون إلى ذلك هم من الذين أوقعهم الشيطان في حباله وساقهم إلى البنوك الربوية ثم تخلى عنهم وتبرأ منهم، وأصبح واعظاً لهم ليزيد من عذابهم

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾16الحشر،

فالمعلم حتى يستطيع أن يعطي لابد من توفير سبل الراحة النفسية، وتأمين احتياجاته الأسرية بحدود الكفاف على الأقل(6)، فيرفع من شأن التعليم، ويحفز الجيل على التفكير والإبداع. هذا ولم نتطرق الى التراجع في الأداء الطبي وبقية الخدمات.

---

(6) رأيت في بعض البلدان في أوائل الستينات أن الراتب الشهري للموظف لا يزيد عن أصابع اليدين إلا قليلاً، ومع ذلك تجده بعد عام واحد أو أكثر قد شرع بالبناء ثم الزواج، ومع بداية التسعينات فإن الموظف المشابه له، وفي المكان نفسه، أصبح راتبه يزيد عن المائة وعشرين ديناراً، وله أكثر من عقد من الزمان في وظيفته ولا

و.يقال: إن روسيا سبقت أمريكا في إعلانها عن التفكير بغزو الفضاء، مما جعل أمريكا إلى تعيد النظر في مناهج التدريس من الأول الابتدائي إلى الجامعة، وقامت بتغيير المناهج بما يخدم العملية التربوية، واستطاعت أن تضع أرجلها على القمر قبل روسيا بسنوات بفضل التوجيه السليم للمدرس، وتأهيله التأهيل الصحيح.

سابعاً:

الربا سبب في تدمير ثروات الأمة، وظهور الأفلام الرديئة.

عندما تسيطر المادة على الإنسان تعميه عن إنسانيته، وتجعله عبداً يلهث وراءها بلا راحة ولا تفكير، قالﷺ: "تعس عبد الدِّينارِ وعبد الدِّرهم وعبد الْخَميصة "البخاري/الجهاد2887، فهو أسير المادة، فينظر إلى قطاع البناء فيجده غير مربح، ثم ينظر إلى تجارة السيارات فيجده مكلف، وينظر إلى قطاع الزراعة فيجده متعب، فلماذا لا يغامر بإنتاج أفلام من أوهام الكاتبين، وتخيلات المترفين، وتمثيل النجوم، واستغلال الهموم؟

والأفلام المربحة: هي التي تستغل مراهقة الشباب الذين تأخروا عن الزواج بسبب أخطاء متراكمة، وعادات خاطئة، وتقاليد هوجاء، وفقر وعناء، فيمثل بغاية الدهاء لقلوب رعناء، متلاعباً بالعواطف والمشاعر، والعقول والضمائر، مشجعاً على المخدرات والسجائر، فيترك الشباب حالماً وحائر.

فلو افترضنا أن ثمن تذكرة الدخول إلى السينما نصف دينار × ألف مقعد×ثلاثة عروض باليوم× ثلاثة آلاف سينما في العالم العربي على الأقل × عدد أيام السنة= أكثر من مليار ونصف دينار في السنة الواحدة، ناهيك عن المبالغ الطائلة التي يأخذها الممثلون والمخرجون، والمنتجون... الخ.

فلو استغل هذا المبلغ في بناء المصانع لما بقي في الوطن العربي كله رجل واحد عاطل عن العمل، ولو استغل في تسليح الأمة العربية لأصبحت قوة عالمية ثالثة، يحسب لها ألف حساب، ولو استغلت في أي مجال من المجالات لحلت كل مشاكله، ولجعلتنا في مصاف الدول المتقدمة.

ولكن ماذا استفاد العالم العربي من صناعة السينما غير تعلم فنون الإجرام، وخلق مزيد من المشاكل النفسية والاجتماعية، وغيرها التي ليس مجالها هنا في هذا البحث المستعجل.

وقد يتساءل البعض وما علاقة الربا بالسينما والأفلام؟

يفكر بالزواج أو البناء، لأن هذا بعيد المنال بالنسبة إليه، وهذا من علامات الساعة، تصديقاً لقولهﷺ" حتى ان أحدهم يعطى مائة دينار ويبقى ساخطاً، وفي رواية يبقى يتسخطها" راجع إن شئت: كتاب أشراط الساعة، للبزنجي.

والعلاقة واضحة، إذ أن معظم الأفلام تمول بواسطة القروض الربوية، ودور السينما تنشأ بنفس الطريقة، لأن العاملين بهذا النوع من التجارة، يتصورون بأنهم سيقومون بتسديد هذه القروض بفترة زمنية قصيرة، ويحققون أرباحاً خيالية، وقد يصح هذا، لأن الأفلام الخليعة سوقها رائجة، وبضاعتها رابحة.

ومن هنا نجد أن المنتج الذي يسعى إلى الربح الكثير، وعنده نهم في جمع الأموال، لا يغامر بقصة هادفة، أو موضوع يعالج مشكلة اجتماعية، لأنه ربما لا يجد له سوقاً، فلا يستطيع من تحقيق أهدافه، أما الأفلام الخليعة، والقصص الماجنة، فإنها تحقق له ما يصبوا إليه.

ثامناً:

الربا سبب من أسباب الحروب الخارجية، والفتن الداخلية

عندما تعجز الدول المدينة عن الإيفاء بالتزاماتها تجاه الدول الدائنة، فإما أن تقبل بما تفرضه عليها من سياسات داخلية وخارجية، وإما أن تحاربها للاستيلاء على ثرواتها، واسترداد حقوقها.

وقد قامت اللجنة الاقتصادية في برلمان إحدى الدول بتقديم الصورة الواضحة للوضع المالي والاقتصادي لهذا البلد إلى ممثلي الشعب الذي قامت صناعاته، ونهضته الزائفة على القروض الربوية، لم يكن أمام النواب سوى حلين لا ثالث لهما.

الأول: أن يبقى هذا البلد يدفع فوائد الربا إلى ما لا نهاية من حياته الاقتصادية، لأن الأرباح الصافية لكل الصناعات لا تفي بجميع فوائد القروض الربوية الخارجية، لذلك ستبقى ديونها في تزايد مستمر

الثاني: أن يرفض دفع هذه الفوائد مع رأس المال، وليفعل الربويون بعد ذلك ما يشاءون.

فإن اختاروا الحل الأول، ظلوا عبيداً لأصحاب القروض الربوية، وسيقبلون بنصائحهم دون تفكير أو تردد؛ لأنهم مضطرون لذلك، وعليه فلن يتقدموا خطوة واحدة في أي من المجالات الاقتصادية، أو حتى المجالات الأخرى، لارتباط أي تطور برأس المال بشكل مباشر أو غير مباشر، وسيزدادون فقراً إلى فقرهم، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾276البقرة

وإن اختاروا الحل الثاني، كان ذلك سبباً في نشوب الحرب بينهم وبين الدول الدائنة، والتي تكون في الغالب أقوى من الدولة المدينة، والنتيجة معروفة، إضافة للحرب التي سيعلنها عليهم الله ورسوله بقوله تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

ولكن الدول الدائنة في الوقت الحاضر أصبحت تشن حرباً من نوع آخر، أوفر من الحرب التقليدية، وأجدى نفعاً، ألا وهي ما يسمونه بالحصار الاقتصادي على الدول المدينة التي لا تفي بالتزاماتها ولا تذعن لبرامج الدول الدائنة، فهذه الدول التي تشكل الآن مجموعات أو تكتلات اقتصادية ليساعدها ذلك في تنفيذ برامجها ومخططاتها، مثل: نادي لندن، ونادي باريس، أو ما يسمونه صندوق النقد الدولي، أو البنك الدولي، فمن لا يذعن لوصفة الصندوق أو البنك الدوليان، فإنه سيعاني من مقاطعة معظم دول العالم له، فلا يبيعونه ولا يشترون منه، فإن استمروا على تلك الحال ساءت الحالة الاقتصادية، وكان ذلك سبباً في الفقر والبطالة، وانتشار الجريمة، وبالتالي الحروب الداخلية، والصراع على السلطة.

وإذا فكروا بالمصالحة مرة أخرى مع الدول الدائنة فعليهم القبول بكل وصفاته، وبرامجه ومخططاته، وهي كذلك تؤدي إلى النتيجة نفسها من الاضطرابات الداخلية والفتن، والحروب، وهذا تصديقاً لقوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾[124طه]

ولا مفر، ولا مخرج من هذه الورطة إلا بالتوبة والرجوع إلى الله فإن الله يتكفل بتغيير الأحوال، والتيسير على عباده، لقوله تعالى

﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾،

وهذا يحتاج إلى مزيد من اليقين والتوكل على الله، والعودة الصادقة إليه، والرضاء بقضائه وقدره، هنالك فقط يمكن أن ينزل الله رحمته ويفرج عن هذه الأمة التائبة، فقد قال جل وعلا:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[2الطلاق] وقال أيضاً: ﴿ومن يتَّقِ اللَّهَ يجعلْ لَه مِن أَمرِه يسرا﴾.

تاسعاً:

الربا سبب من أسباب ظهور الفوارق الطبقية.

الربا معناه في اللغة الزيادة، وهو بطبيعته يتضاعف،

فلو أن شخصاً[7] اقترض مليون دينار بفائدة يسيرة، حتى وإن كانت 1% فإن الناتج سيكون عشرة آلاف دينار سنوياً، فإن استمر القرض عشرة أعوام مثلاً، فهذا يعني مائة ألف دينار، كما أن

(7) المقصود بالشخص إما عادي، وإما اعتباري، كالمؤسسات والدول والشركات.

الفائدة تربى أيضاً، فصاحب المال يبقى ماله في ازدياد مستمر، أما صاحب المشروع، فإما أن يوفق في مشروعه ويربح، فيزيد المجتمع غنياً جديداً، وإما أن يفشل فيزداد المجتمع فقيراً جديداً.

وبما أن الفقر والغنى أمر نسبي، فإن كل غني يزداد في المجتمع يقابله مئات الفقراء على الأغلب، كما هو الحال في القمار المسمى بـ (اليانصيب) [8]،.

ويتعاظم الأمر حتى يصبح المجتمع أغلبه من الفقراء، والقلة الباقية قسمين أحدهما فاحش الثراء، والثاني متوسط الدخل ما يلبث أن يتحول إلى أحد الطرفين[9].

ويبقى الجميع في صراع مرير لأجل المادة، أو بعبارة فقهية لأجل الدنيا التي خلقها الله لنا لتكون مزرعة للآخرة، ولم يخلقها لنا نهاية أو قرار، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾15الملك.

عاشراً:

الربا سبب من أسباب وجود ظاهرة الاحتكار.

عندما يتنافس الكبار على جمع المال، ويضرب أحدهم الآخر في تجارته، أو صناعته، فإن أحدهم سينتصر في النهاية ويكسر الباقي، فينفرد مصنع واحد بصناعة ما، وينفرد تاجر واحد بامتلاك مادة ما.

وفي ظل هذا الوضع واختفاء المنافسة فإن صانع المادة الوحيدة في السوق، أو مالكها سيحتكر هذه المادة، ويطرحها في السوق بكميات قليلة، حتى يزداد الطلب عليها، فيرفع سعرها شيئاً فشيئاً دون رقيب أو حسيب، فيبيع المادة التي تساوي ديناراً بعشرة، والتي تساوي عشرة بمائة أو مائتين، حسب سعة بطنه، واتساع ضميره[10].

وبما أن الفوز بالاحتكار، واختفاء المنافسة أمر غير يسير، وإذا تحقق فلن يطول، وبعد مدة يختفي الاحتكار ليحل محله احتكار من نوع آخر، فقد تنجح المساعي في عقد جلسة تفاهم بين أصحاب الصناعة، أو التجارة الواحدة، فيتفقون على أن يكونوا جميعاً شركاء في هذا الاحتكار،

---

(8) اليانصيب باختصار هو جمع دينار واحد من عشرة آلاف إنسان فقير ليصبح أحدهم غنياً يتعجرف على بقية الفقراء، ويزداد العشرة آلاف الباقون فقراً، وهكذا. ولهذا لا يجب أن يسمح به حتى في المجتمعات الرأسمالية، فالعجب كل العجب ممن يدعون بأنهم يريدون تفتيت الثروات بين الناس؛ كيف يسمحون بهذا اليانصيب الذي هو عكس ما ينادون به؛ لأنه يجمع الثروة بيد واحد كما أسلفنا.

(9) هناك بعض الإحصائيات تقول: إن 20% من سكان العالم يمتلكون 80% من ثرواته، وإن 80% لا يملكون سوى 20% منها، فيا لروعة الزكاة ويا لحقارة الربا والاستغلال.

(10) قالﷺ:" لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب" ورواه الشيخان. وعبر بالوادي ولم يقل جبلاً من ذهب، لأن الوادي يبقى متدفقاً فلا ينتهي، أما الجبل فينتهي، فهل هذا ما ينطبق على وديان الذهب الأسود أيضا.

فيبقوا على سعر السلعة مرتفعاً، بشرط أن يشتروها من الفائز، وهم يتولون بيعها للمستهلك ويربح الجميع ويخسر المستهلك.

وهناك اتفاق من نوع آخر على الاحتكار يقسم إلى قسمين" الكار تل" أو" ألت رست" فكل واحد ينتج كمية محدودة ويضع عليها السعر الذي يريد، وقد يلجئون إلى طريقة أخرى، وهي عدم التقيد بالكمية، بشرط الالتزام بسعر محدد يحقق الربح الفاحش للجميع.

والنتيجة أن الاجتماعات تستمر والأساليب تتطور والهدف واحد هو ملء جيوب المحتكرين.

وقد لجأ بعضهم إلى إلقاء الحبوب في البحر كي لا يزيد العرض ويقل السعر على الشعوب الجائعة، وبعض الدول لجأت إلى تزفيت الشوارع بالبن كي يبقى سعر القهوة عالياً.

وهكذا عندما تسيطر المادة على عقل الإنسان وفكره، يصبح كمن يشرب من ماء البحر، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً.

حادي عشر:

الربا سبب في ظهور الأزمات الدورية الاقتصادية.

عندما يكثر الفقراء، ويظهر الكساد، ويتضاعف العاطلون عن العمل، فإن السلع التي تنتجها المصانع لا تباع جميعها بالرغم من رخص أسعارها، وزيادة الحوافز والجوائز للمشترين، وبالرغم من التقسيط المريح، ولكن دون جدوى؛ لأن الجيوب فارغة، والعقول مشغولة بتوفير الأساسيات، فيضطر المرابون– دولاً ومؤسسات وأفراد– إلى تحريك عجلة السوق، فيقومون بفتح باب الاقتراض، ويبدون رغبتهم بجدولة الديون لفترات جديدة، بل وشطب بعضها، لكن بشروط جديدة واتفاقات بعضها سرية، وبعضها علنية، فتدور بذلك عجلة النمو الاقتصادي من جديد، وتدب الحركة والحياة في السوق من جديد، ويزيد الطلب على الشراء لفترة من الزمن، ثم يبدأ التباطؤ من جديد.

وتعود الكرة مرة أخرى، بعد أن تدور دورة كاملة، وهكذا تضيق الحالة الاقتصادية على الشعوب مرة، وتتسع مرة، وقد تضيق على المرابين فيما بعد، وهذا عيب اقتصادي خطير اسمه "الأزمات الدورية" ينتقده أعداء الرأسمالية، ويعترف به أصدقاؤها.

وبعد هذا السرد المختصر لبعض مضار الربا الاقتصادية، وتوضيح الحكمة من تحريم الربا، أرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في عرض الموضوع، وحققت الفائدة المرجوة من وراء ذلك، وأرحب بأسئلتكم ومشاركاتكم.

مشاركات واستفسارات:

س1: إذا كان الربا فيه كل هذه العيوب، فما الحل للتخلص منها؟

ج1: عندما انتشر أبناء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في القرن العشرين، باحثين عن المدنية والاختراعات والاكتشافات، والجديد في الصناعة والتجارة والاقتصاد والإدارة والعلوم وغير ذلك، وبعد أن عرفوا أن نوم الأمة قد طال، عادوا إلى بلادهم، ولديهم ثلاثة انطباعات:

الانطباع الأول: إذا كنا نريد التقدم، واللحاق بركب المدنية، علينا أن نأخذ بما أخذ به الآخرون، بغض النظر عن مخالفته للدين أو الأخلاق.

الانطباع الثاني:إن الآخرون لهم مدنيتهم، ولكنها لا تتناسب مع أساسياتنا، فلن نأخذ منها إلا ما كنا مجبرين عليه.

الانطباع الثالث: يجب أن نفرق بين الخير والشر، فلا مانع من أن نأخذ الأشياء الحسنة وندع ما سواها، فالآلة والسلاح والعلم عندما يصبح عندنا يكون خاضعاً لإرادتنا. وعندما جاءوا إلى فكرة المصانع توقفوا طويلاً، إلى أن اهتدوا إلى حل مقنع ومبسِّط ومفيد، فقالوا:

لماذا لا نطرح أسهماً للاكتتاب؟ فتتوارد إلينا النقود رويداً رويداً، فنبدأ بشراء الأرض، ثم إقامة مباني المصنع، ثم الآلات، ثم المواد الخام، ثم نبدأ العمل، ويتم توزيع الأرباح كالتالي:

40% لرأس المال و40% للعمال، بحيث يعلم هؤلاء العمال بأنه كلما زاد إنتاجهم زادت مخصصاتهم، فيتفانون في العمل، وجودة الإنتاج.و20% للذين يشترون من مصنوعاتهم الوطنية، بحيث يشجعهم ذلك على دعم الصناعة الوطنية يوماً بعد يوم.

وبهذه الخطة المحكمة أوجدوا طريقاً لتعامل مع رأس المال مع الربح، دون اللجوء إلى الربا، كما أوجدوا فرص عمل لأبناء جلدتهم، وساهموا في دفع عجلة التقدم والبناء في الوطن، وحاولوا الحد من الاستيراد ولو لسلعة واحدة،

كما أن المصنع يمكن أن يستوعب فائض لإنتاج من بعض المواد التي تزيد عن حاجة السوق المحلي والتي يمكن تصنيعها، وبذلك طمأنوا منتجيها، وشجعوهم على الاستمرار في زراعة هذه المادة دون خوف من ذهاب الفائض غذاء للحيوانات أو سماداً للأرض.

(استراحة): لو أن شخصاً ما، قام بإنشاء مصنع بكلفة بعشرة آلاف[11] دينار في منطقة ما، فما تأثير هذا المصنع على هذه المنطقة؟

الجواب: التأثير كبير وإيجابي على جميع أهل المنطقة بشكل عام، إذ أن المصنع بحاجة إلى بناء، وهذا يشغل العمال في هذه المنطقة العملين في البناء، والقصارة والدهان والتمديدات الصحية

(11) قد يقول بعض القراء: إن هذا المبلغ لا يكفي للبناء فقط، هذا صحيح ولكن وقت قيام المشروع في بداية الستينات كان هذا المبلغ يساوي الكثير.

والكهربائية، والنجارين والحدادين وفنيي الألمونيوم وغيرهم، إضافة إلى تجار مواد البناء، من إسمنت وحديد وأدوات صحية وأدوات كهربائية ودهانات وغير ذلك.

كما أنه سيستوعب عدد لا بأس به من العاطلين عن العمل للعمل في المصنع كفنيين من أصحاب الخبرات، وعمال عاديين، ويؤهل أيضاً عدد آخر من العمال ليصبحوا ذوي خبرات وكفاءات تفتح المجال أمامهم للعمل في مجالات جديدة.

وكل هذا سينعكس على أصحاب المهن والقطاعات الأخرى، فالعمال والفنيين والتجار الذين استفادوا من هذا المشروع ستزيد قدرتهم الشرائية من المواد الأخرى، فيقومون بشراء المأكولات والمشروبات بمختلف أنواعها، وكذلك الألبسة والقرطاسية والأجهزة الكهربائية والمفروشات وكل مستلزمات العائلة.

كما أن الوضع المادي لبعض هؤلاء وأولئك سيتحسن وربما يفكر في البناء الجديد، أو تحسين البناء القديم، وهذا سينعكس مرة أخرى على جميع القطاعات السابقة، وهكذا تدور عجلة الاقتصاد في هذه المنطقة وتزدهر، وهذا كله بفضل مصنع واحد، فما بالك بمشاريع إنتاجية أخرى في نفس المنطقة؟؟

(استراحة أخرى وفيها عتب)

لو فكر تاجر ألبسة بالذهاب إلى فرنسا لاستيراد ألبسة جديدة تناسب الموضة، فبمجرد وصول هذا الشخص إلى باريس، فإن عمال المطار سيستفيدون من هذا الرجل، وكذلك سائق التكسي الذي ينقله إلى الفندق، والفندق الذي سيقيم فيه، وعمال الفندق، كل هؤلاء سيستفيدون من هذا الرجل، ويأخذون قسماً من أمواله.

وعندما يقوم بعقد صفقة مع مصنع الألبسة، فإن المصنع وعماله، وزبائنه الذين يوردون له المواد الخام، وكل الذين يتعاملون معه سيستفيدون من هذا الرجل، ناهيك عن نفقات الأماكن الترفيهية التي سيذهب إليها مغتنماً فرصة وجوده في هذا البلد، وكل هذه المصاريف ستنعكس على سعر الملابس التي سيأتينا بها، وربما تكون أقل جودة من منتجاتنا المحلية.

(استراحة ثالثة، وإياك أن تفكر):

عندما نبيع كيلو الصوف الأصلي من بلادنا بدولار واحد، ليعود إلينا بعد فترة قصيرة جاكيت بمائة دولار مكتوب عليه(mad in...) فاعلم أن الـ99 دولار الباقية، هي نزيف من مال الأمة سنحاسب عليه يوم القيامة، لأن كل المصاريف التي دفعها المستورد كما في الاستراحة الثانية، إضافة إلى ما أنفقته المصانع من مصروفات، وما دفعته من ضرائب، في بلادها كله كان من

جيوبنا، واستفادوا من هذا اللباس الذي تتبختر به وتفتخر بأنه صناعة أجنبية غير عالم بالورطة والمأساة التي تعيشها.

(استراحة رابعة):

لو أن رجلاً غرس أمام بيته زيتونة واحدة، فبعد عشرة سنوات سيقطف منها جالون زيت على الأقل يزيد سعره عن عشرة دنانير، ولو أن مليون شخص آخرين فعلوا مثله فيكونون بذلك قد وفروا على أنفسهم وعلى خزينة الدولة عشرة ملايين دينار، وزادوا الدخل القومي في الوقت نفسه بما يزيد عن ستين مليون دينار سنوياً(راجع الاستراحة الأولى).

أرأيت الحكمة من قوله ﷺ :" إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ"احمد12569.

ونعود لما حصل في الاستراحة الأولى، فبعد أن نجح المصنع نجاحاً باهراً وكان ينتج رب البندورة واستطاع أن يستوعب إنتاج المنطقة من مادة البندورة والمناطق المجاورة من هذه المادة انطلق إلى المناطق الأبعد، وهذا يحتاج إلى وسائط نقل وطرق معبدة وعمال جدد،

وعندما حصلت هذه المتطلبات رويداً رويداً، تشجع أبناء البلدة على إقامة مصنع آخر لإنتاج مشتقات الحليب، لتوافر الحليب بكميات كبيرة كانت تذهب هدراً، أو تباع بأرخص الأثمان، كما أن توافر البنية التحتية نتيجة قيام المصنع الأول جعل الأمر أكثر سهولة،

ثم أنشأ مصنع آخر لتعليب الخضروات، وآخر للعصائر، فازدهرت المنطقة وتميزت عن المناطق المجاورة لها، وانعكس هذا على ساكنيها طلاباً ومدرسين، وعمالاً وتجاراً وفنيين، ووصلت لهذه المنطقة جميع الخدمات من كهرباء وماء وطرق ومواصلات، وهواتف وغيرها.

وبعد فترة زار المنطقة خبير ألماني كبير فلم يصدق ما رأى بأم عينيه، إذ كيف تقوم مثل هذه المشاريع الضخمة والمتميزة في دولة نامية وفي منطقة نائية وبدون ربا؟ فعاد إلى بلاده وألف كتاباً يظهر فيه مقدرة الإسلام على إقامة مشاريع اقتصادية بدون ربا، وسمى الكتاب" سلسلة بنوك بلا فوائد".

س2: متى وأين كان هذا المشروع؟ وهل هو الآن لا يزال يعمل ؟

ج2: المشروع قام في أحد البلاد الإسلامية في الستينات، ولكنه ألغي بفضل أحد المسؤولين الكبار الذين زاروا المشروع ودار بينه وبين مدير المشروع حوار انتهى بمصادرة المشروع وإلغائه، عندما أصر المسؤول على إدخال التعامل بالربا إلى هذا المشروع،

ورفض مدير المشروع مجرد فكرة إدخال الربا إلى مشروعه فاتهم بأنه حزبي ومتآمر، ففر وترك المشروع، وألغي وطار، أو في بطن الجشع غار، وذهبت جهود المخلصين سدى.

س3: ألم ينتقم الله من ذلك المجرم الذي ألغى مثل هذا المشروع النافع للبلاد والعباد وابتلعه؟

ج3 : نعم، فإن الله تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، فقد اتهم هذا الظالم بالخيانة العظمى وأودع السجن، وقيل إنه انتحر في السجن

﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾11الحج.

مشاركة(1) تفضل مشكوراً.

من الخطورة بمكان أن تقوم بعض البنوك في الوطن بأخذ أموال المواطنين بفائدة 6%ووضعها في بنوك أجنبية بربا 12% وتأخذ الفرق؛ والنتيجة هي فراغ البلد من السيولة النقدية والذي له أضرار بالغة الخطورة.

وأرى أن الوقت الآن مناسب لإعادة الكرة مرة أخرى، والرجوع إلى الدين في جميع البلاد الإسلامية، وهذا هو الحل الأمثل لمشكلتنا الاقتصادية التي أرهقتنا، فنحن نرى أن الجهود والطاقات توجه نحو إيجاد حل لهذه المشكلة المستعصية، وتعقد لأجلها المؤتمرات، والندوات، وتحظى باهتمام المسؤولين على أعلى المستويات، والحل بجانبهم وقريب منهم.

فالإسلام لديه حل لكل مشكلة، إذ هو النظام الرباني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فالله الذي خلق الإنسان يعلم ما يناسبه وما لا يناسبه. فالعودة إلى الدين هي الحل لكل مشكلاتنا الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والنفسية وفي كل المجالات.

نسأل الله تعالى لنا ولأمتنا الإسلامية الهداية، والعودة إلى التمسك بأهداب هذا الدين الحنيف، إذ لا يصلح شأن هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

مشاركة(2):تفضل مشكورا :

أسباب الرزق كثيرة منها:-

1- الاستغفار ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً۞يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾(نوح:12)

2-التقوى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً۞وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ (الطلاق:3)

3-المشي: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك:15)

4-الصلاة:إذ هي دعاء وطلب من الله تعالى.

5-الصدقة تطفئ غضب الرب ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ)(البقرة: من الآية276)

6-التوكل:﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)(الطلاق: من الآية3)، ولقوله ﷺ: ((لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)) سنن الترمذي (2344)

7- الإنفاق باعتدال (اللهم أعط منفقا خلفاً وأعط ممسكا تلفاً) (ما عال من اقتصد).

8- الإنفاق على طالب العلم (لعلك ترزق به)

9- الإنفاق على الضعفاء (وهل تنصرون وترزقون... إلا بضعفائكم)

10- الدعاء ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾(ابراهيم:34)

11- حسن النية ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ (هود:31)

12- الصلاة على النبي ﷺ (إذا تكفى همك ويغفر ذنبك)

13- قراءة سورة الواقعة كل ليلة (لم تصبه فاقة)

14-...الخ([12])

مشاركة(3): تفضل مشكورا.

المصانع خير من الأموال قال تعالى عن رسول الله سليمان عليه السلام ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ (النمل:36)

فاليابانيون مثلا أغنى من دول النفط ولو انهارت عملتهم مثلا لأنهم أغنياء عن الناس أولاً، ثم هم قادرون على الإنتاج من جديد ثانيا أما لو انهارت عملة دولة نفطية فهيهات أن يقوم لها قائمة

مشاركة (4)

حانت لدي فرصة لشراء أرض بسعر مغر بمنطقة لها مستقبل جيد والدفعات على أقساط، وعرضت الفكرة على طاولة غداء ضمت أكثر من عشر موظفين. ولكن أحداً منهم لم ينبس ببنت شفة

[12] راجع إن شئت كتابي خمس حقائق إيمانية/فصل الدعاء.

وحين تعجبت من سكوتهم كوني أعرض عليهم ما هو مصلحتهم ولا أحد يجيبني، كان الجواب أن كل واحد منهم ملتزم بأقساط لا يستطيع أن يشتري فوقها ولو جملا بقرش.

وكما يقول المثل " جمل بقرش وليس معي قرش؛ إذا هو لا يلزمني

وبالفعل فقد تحول أغلب الموظفين إلى ما يشبه العبيد بسبب تلك الإلتزامات. فهل عرفنا ما هي المصائب التي وقعنا فيها؟!.

والحمد لله رب العالمين